الإنسان أصله شجرة

قصص قصيرة

هالة فهمى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

الإهـــداء..

إلى من اعتصرت روحها لتهبنى قطرات من رحيق الحياة..
مازلت يا أمى لحنا يذوب رقة..
أتمنى أن أكون نغمة فيه..

هالة

تصميم الغــلاف
والإشراف الفنى : **صبرى عبد الواحد**

هن..

رائحة رجل

دفعت بالتذكرة داخل ماكينة المرور، دارت الأذرع، تلقفتنى إلى الجهة الأخرى، بسؤال بسيط عرفت أننى فى المكان الصحيح.. دقائق وعلا صرير العجلات، ولجت إلى العربة بقوة الدفع.. تأملت المقاعد، شعرت بخيبة أمل.

هل أظل واقفة إلى حلوان ؟

لم يبد السؤال خارج حدود جسدى الذى ترنح..كاد يسقط ؛ لولا يدان خشنتان امتدتا لنجدتى.نظرت إليها مبتسمة شاكرة جميلها .جذبتنى نحوها بقوة غريبة على

امـرأة، أجلسـتنـى مكانهـا. شكرتهـا مـجـددا.. كـانت قـد انصرفت عنى بنظرها.

أسندت ظهرى.. أرسلت عينى تتفحص المكان. هذه هى المرة الأولى التى أركب فيها وسيلة نقل عام.. ومتروالأنفاق مغامرة كبيرة بالنسبة لى ؛ فأنا أخاف الأماكن المغلقة، لكننى تحاملت على نفسى وطمأنتها بأن معى مئات البشر.

عدت أتأمل الوجوه : فهى ما جئت من أجله.. قال لى زميلى :

- أطلقى حاستك كمبدعة وسط آلام الناس،كونى منهم تتفجر عيون الإبداع لديك، لن تعانى حالة الجفاف تلك. لقد نفد ما فى ذاكرتك من مخزون، عليك بشحن خيالك ولن تجدى هذا فى حياتك المخملية، لن تجديه فى المقعد الخلفى من سيارتك.. وخلف زجاج نظارتك " السينيه ".

دفعنى الفضول للتجربة.. سأصل لآخر محطة فى حلوان. أنا لا أعرف هذه المنطقة، ولا أعرف أى منطقة، لو نزلت من المترو.

حمدت الله فى سرى، سأعود بنفس التذكرة ولن أضطر لمغادرة الرصيف وأعرض نفسى ثانية للسؤال. عدت

لملاحقة الأوجه المتعبة.. تغيرت ساعة الذروة كما يقولون، المكان يكاد يختنق.. وتلك المرأة المترهلة التى تجلس بجوارى تحمل كيسا به سمك.. وخبز، اشتهيت طعمه.. رغم انزعاج أنفى.. فإن معدتى تلوت جوعا.

- سامحك الله.

هكذا إنفلت لسانى.. تلفتُّ حولى خشية أن يكون هناك من سمعنى. لا أحد الكل مبحر مع أفكاره عبر النوافذ.

تعثرت عينى ثانية فى السيدة التى جذبتنى من يدى.. كانت ملتصقة بإحكام بالشاب الواقف جوارها، تنتهز فرصة إهتزازات المترو وتلقى بوجهها كاملا فوق ذراع الشاب.. ينظر إليها معتذرا فى أدب.. تبتسم له ابتسامة لزجة.. تعود بعد قليل لنفس السلوك. أتكون لصة ؟

قبضت على حقيبتى.. ضممتها لصدرى.. تعلقت عينى بها جذبنى فضولى للركض خلف أنفاسها المتقطعة.. صدرها يعلو.. ويهبط.. تعب الهواء فى صدرها.

أتكون مريضة وآثرتنى على نفسها ؛ هممت :

-تفضلى يا مدام إرتاحى قليلا.. سأقف.

هزت رأسها نفيا ودفعتنى باليدين المتشققتين :

- اقعدى.. لا أريد الجلوس.. "مدام.. قال..مدام ".

ألجمنى الصمت ؛ عندما توقف المترو فجأة فألقت بنفسها تحت إبط الشاب المرفوع ممسكا بالأذرع المدلاة من سقف عربة المترو..أنزل الشاب ذراعه كاد يسقط فالتقطته لصدرها.. اعتذر الشاب فى أدب.. حاول الابتعاد خطوة.

انتبهت على حدقتى عينى تكادان تتمزقان من شدة الإتساع. عاد سؤالى يتأرجح على لسانى :

- أتكون لصة ؟

حاولت أن أستفسر من عيون الناس السارحة بعيدا.. دارت عينى سقطت على الشاب الذى تهلل وجهه عندما وجد مكانا خاليا.. هرول إليه.. انكسار باهت علا وجهها الأبيض الذى سرى النمش به كأنه قاصد تعكير هذا الوجه.

أصبحت السيدة محشورة بين امرأتين.. زاد ارتباكها.. تخلصت من جوارهما، أصبحت الآن أمام الشاب ثانية..

مـالت نحـوه، همـست فى أذنه بكلمـة ؛ تفضن وجـهـه، قطب جبينه، هـز رأسه رافضا.

زادنى هذا فضولا..ماذا قالت له ؟!

السـيدة تفـرك يديهـا بعصـبيـة شـديدة.. فـتحت كـيس بلاستيك أنيقـا فى يديهـا.. دفعت به إلى الشـاب الضـجـر، أدار وجـهه مـالت بجـذعـها نحـوه، زفـر، بيـدين مـرتعـشـتين حمل كتبـه التى كادت تسقط.. غـادر المكان،ظل يمـر وسط حـشـود من التـأفـفـات وشـذرات الغـضب حتى وصل لآخـر العربة.

عيون السيدة ذات اليدين الخشنتين تشيعه ؛ وصـدرهـا يهبط كبـالون أفرغ منـه الهواء، سـقطت مكانه قـابضـة كفهـا على خدها.

تمنيت لو يخلو بجوارها مكان ؛ لأنتقل إليه، لا أمل كـان كل الـركـاب ذاهبـون مـعى إلى حلوان.. المتـرو لا يـقف إلا ليصعد بشـر محملين بالشـرود.

انصرفت أبحث عن الشـاب.. كان قد اختفى تماما وسط الأجساد الغارقة فى العرق.

سأحاول أن اقرأ ملامح الناس، سأجد ما داخل رءوسهم مسطورا على جبهاتهم..هكذا علمتنى أمى.. التجاعيد على الجبهة تعنى شخصا نكدا.. وحول الشفاة تعنى شخصا كثير الضحك.. لكن أبى أردف يومها قائلا :

- ليس هذا دليلا على السعادة والشقاء.. هناك تعساء محرومون يضحكون.

قبل أن أستأنف شحن ذاكرتى بالصور، وقعت عينى على السيدة ذات اليدين الخشنتين.. كانت تتحدث مع الرجل الذى جلس جوارها.. أرهفت السمع :

- بكم؟..ممكن أشتريه منك لو محتاجة تبيعيه.

- البدل هو ما أريد، البدل فقط، هذا قميص مستورد، أغلى مما تلبسه الآن.. انظر.. اعطنى قميصك وخذ هذا.. هه.

هز الرجل رأسه رافضا.. أعادت السيدة القميص إلى كيسها الأسود.. نكست رأسها.. فرش الحزن بردته على تقاسيمها..فلم تعد تحاول ما كانت تفعله.

طغى الفضول على صوت عقلى.. ركله.. دفع به خارج جمجمة رأسى وسحقه تحت أقدام السيدة الحزينة.

اقتربت منها.. سأسألها عما تريده.. وتفسيراً لحركاتها.

فرملة المترو قذفت بى لأسقط على حجرها. بخشونة قالت :

- هيه نقصاك.. أيه اللى قومك.

دفعتنى واستدارت لتنزل وهى تتمتم :

- حتى قميص فيه عرق رجل.. لا أجده.. حسبى الله ونعم الوكيل لا الرجل.. ولا ريحته.

طواها الرصيف بينما يحملنى القطار الذى أصبح شبه خال إلا من أسئلة متشابكة فى رأسى.

من نافذة الحلم

على دقات قلبه.. جاء دبيب خطواتي مرتبكا.. فتحت الباب ؛ دخلت إلى حيث يقبع فى ركن بعيد، كنت أظنه ينتظرنى، فوجئ هو بدخولى، رمقنى بعيون اختلط فيها لون الحب بالعذاب، مد ساعديه أجلسنى أمامه.. ظل يرشف من شفتى معنى الحياة، ضمنى لصدره.. همس بفحيح مرعب :

- لابد أن تدعيها تمتص بعض الدماء.

ارتجت مشاعرى، حاولت التملص من ذراعيه.. ضمنى بقوة إلى عينيه ؛ تأملنى:

- لدغة بسيطة ستجعلك حبيبتى للأبد.

نظرت إليها تتلوى، ترفع رأسها المفلطح، تنظر ناحيتى بناب طويل حاد، اقتربت، صرخت،طرقت الباب المغلق.. جذبنى من ظهرى ؛ شمر ساعدى.. مده إليها، قلت له بصوت ينزف سنوات عمرنا الجميل :

- أنا حبيبتك حقا ؟!

قال : نعم.

- إذًا شق جلدى بأظافرك.. مزقه بسكين ؛ لكننى أخاف الأفعى، أتوسل إليك.

كلما انسابت دموعى ناحية الكوبرا.. زحفت بجسدها ؛ لثمته بلسانها.

تزداد طولا، تلتف حول نفسها، رأسها المفلطح أبدا مرفوع تجاهى.

التفتُّ إليه أهزه ؛ لعله يفيق:

- أنا خائفة.. أين حضنك ؟

نظر بغضب :

- لابد لها من بعض دمائك.

- لكننى.... آآآه.

كانت قطرات دمى تنساب وهى تفك لفاتها الطويلة.. يتحول الرأس المفلطح لعينين نجلاوين.. فردت آخر جزء فيها، كان ذراعاً طويلة.

التفتُّ إلى يدى أحاول منع دمائى من الهطول، راعنى ما رأيت ؛ تحولت الأفعى لساحرة جميلة.. تأبطها وقفزا من نافذة الحلم.

نشرت بجريدة المساء

مايو٢٠٠٤

مخادعة

- كم عمرك الآن؟

- لا أدرى فلا أحب لغة الأرقام.

- هل تمزحين متى ولدت ؟

- عندما تزوج أبى من أمى.

- متى ؟

- عندما أحبها.. تزوجها.

- سنة كم ؟

- لم أكن قد ولدت.

- كيف تحسبين ميلادك..أين شهادة ميلادك ؟

- قل لى أنت..عندما يلتقى السحاب السابح مع أفراحى وأتراحى فتمطر لحظات.. كيف أحسبها ؟ أوعندما تغيب عنى بين ثنايا صمتك وأعمدة الهروب، فيضيع منى العمر.. اختبأ ولا أستطيع العثور عليه..كيف أحسبه ؟!

- كما حسبوه لك عند دخولك المدرسة.

- مدارسك التى تعلمت فيها لم تطلب مسوغات لقبولى..دفء عينيك ولحظات التهامى وذوبانى..لم تسألنى عن عمرى.

- فلسفة جيده.. ألا تعترفى بسنك.. نظرية جديدة تمد العمر بالرغبة فى الحياة..تلتقط الأيام السعيدة وتشربها..فتنمو الابتسامات وتشرق النضارة..لكن كيف أتزوجك وأنا لا أعرف عمرك ؟

- قد يكون عمرى ألف عام.. أو يوما.. ما الذى يهم.. هل تحال المرأة إلى معاش مشاعر الرجل حين تكبر؟!

- توظفين براءة ملامحك لتهربى من عمرك !!

- كيف؟! حين تبتعد عنى تتجعد أيامى.. ويصير عمرى ألف عمر.. يلف جسدى الهم.. ويلقينى فى غياهب الانتظار.. يتغضن وجهى بلون الألم.. يرتجف قلبى حين تسقط الابتسامات جافة يفركها الهجر وينثرها فوق العمر الشائخ.

بمكر نظر إليها وبنصف ابتسامه نطق :
-إذا أنت تعفيننى من هدية ميلادك الثمينة التى أعددتها.

وضع العلبة بجواره وانتظر...... بدلال همست :

- إن كنت مصرا.. فهوفى نوفمبر الحالى وتحديدا غدا السادس والعشرون.. مدت يدها التقطت الهدية..أدارت ظهرها وهى تتأمل العقد الجميل.. تلفه حول جيدها..محدثه نفسها :

أهو من الذهب الخالص ؟! كم ثمنه ياترى؟؟

أصــباغ

إهداء

إلى من مـلأت قلبها بالحقد..

فلم تنبت شفتاها بسمة حب.

هذا الشـيطان يطـاردني ... يتسلل لرغبـاتي...، يسـرقهـا لماذا يجلس اليـوم بجـانبـي يشـاطرني الحلم، المرأة التي بجواري صديقته تحتمي به، يصبغها كل يوم بلون، أحار في ألوانها، لم أتمكن يوما من معرفة لونها الحقيقي.

أنظر في بؤبؤها الحـائر، أركـز عليـه، تسـيل الأصبـاغ، يسعفها برتوش تخفي ارتباكها من وهج عيني..

تتلمسنى فى حيرة، تتعجب لبراءتى، طفولتى، حبى للأشياء البسيطة تحاول نزع ثوبى.. تمزقه.. تخمش جلدى.. ترشف دمى وتبكى... سألتها يوما :

- فيم بكاؤك ؟!

- أخاف عليك.

- ....!!

لفت أصابعها حول عنقى.. ضغطت، فى النزع الأخير قاومتها، تبكى، عيونها تتحسس جيدى، تسألنى :

- من فعل بك هذا ؟!!!

صمتى لم يعد يسعدها.. هربى لم يشبعها لتبتعد عنى، عاتبتنى يوما :

- كل البشر يعشقون صورتك المترقرقة فوق القمر، النجم الملاصق لك ما هو إلا ملاك يحميك، تبتسمين فى كبرياء، تنظرين فى إغراء، تأمرين فى استعلاء.

أجابها صمتى اخبرتنى أمك يوما : أنك تطيلين الوقوف أمام المرآة، تصبحين بوجه وتمسين بوجه، ضحكتك لا

تصل للقلب.. صوتك فحيح، دموعك باردة، عيونك تضيق كعين حية صفراء.. لم أكن يوما لأستطيع الولوج داخلها.

شحبتنى كلمات الأم المرعوبة.. فى الليل وجدت شيطانها يتقرب منى يتسلل لحلمى بالخلاص من قبضتها، يعلم فشل محاولاته بضمى اليه.. تبحث عن شيطانها، تقربه منها.. يفر.. وجودها بجواره يزيد اشتعاله، رأيته مرارا يختبىء منها، منذ أمسكت ريشته وأصبحت تلون الآخرين، ارتسم الحزن بعينيه الضيقتين كان يظن أنه الوحيد القادر على تلوينهم، فقد إصراره على تلوينى مثلها.. صارت تأمره فيكثر من أصباغها.. تبومت ملامحها.. ضاقت عيناها أكثر.. أرهقته.. ألقت به فى سراديبها، ضل الشيطان الطريق إلا اليها.. اقتربا منى، الأصباغ تقطر من أظافرهما.. أمرته بإغراقى فى اللون الأصفر.. لا أحمر.. حاولا.. لم يعد بيننا حتى الهواء.. قذفتهما بالمعوذتين.. احترق هو، سالت أصباغها، سقطت.. مجرد مسخ شائه.

نشرت بجريدة

المساء أكتوبر ٢٠٠٤

واحد ـ اثنان ـ ثلاثة

تأملها.. سربلها بفيض من الهدوء النفسى.. أرسل صمته إلى عينيها.. فأنفرطت الذكريات الصغيرة تتقافز فوق شفتيها.. اعتدل فى جلسته.. ألقى إليها قراره: هناك ثلاث طرق للعلاج.. ومن المؤكد شفاؤك:

١ ـ الغمر

تصعد درجات السلم.. لا تميز جيدا بين صوت كعب الحذاء ودقات قلبها التى ترتجل لحن خوف شديد

الضجر.. دلفت من الباب.. قابع خلف مكتبه.. أمامه شرائط كاسيت كثيرة.. كتب صفراء قديمه.. نادى على الممرضة: هل طبيب التخدير موجود ؟ طبيب القلب ؟.... هيا بنا إذاً.

سار الموكب: الممرضة.. المريضة.. الأطباء.. أمام الغرفة المعدّة.. القوا بها داخلها.. اغلقوها.. أضاءوا الأنوار الكاشفة.

- فئران.. فئران.

لم يكن هناك من يستمع لصراخها.. الأضواء تتقلب فوق ملامح الفئران المذعورة.. همست :

إنها رسومات.. أخاف حتى الرسومات.. افتحوا الباب.. طرقاتها تستنجد بهم.. خلف الطاقة الزجاجية رأس الممرضة تطل على خوفها وهى تركض.. يسابق رعبها ذعر الفئران.. قبل أن ترتطم بالأرض.. أطلقت الممرضة فأرين من ثغرة بدت كأنها بئر عميقة السواد.. رأتهما يمرقان

أمامها.. تصبب العرق.. أغرق اللوحات والدمى.. سقطت ويدها ممسكة «ببوستر» كبير لفأر يداعب قطة.

انزاح الستار.. حملوها وكانت غائبة عن الوعى ونبضها يكاد يتوقف.. من لحظة الإفاقة كانت تقول:

ـ لا أريد العلاج بالغمر.. كيف أغمر فى حجرة مليئة بالفئران ؟! لا.. لا.. واصلت الإغماء.

٢- خطوة.. خطوة

عادت تشد قدميها نحو مكتبه.. يداعب دمية جميلة لفأر ذى فراء جميل.. قال لها: ملسى عليه.

فعلت.. سألها.. هل عضك الكلب؟ ضحكت حتى مالت بسمتها وارتكزت فوق فمها.. خمدت كمن تذكرت شيئا ثم هتفت:

– غمر مرة أخرى يا دكتور؟!..لا.

هبت واقفة.. أجلسها :

- بل العلاج بهدوء.. خطوة.. خطوة.. وأنت ستعالجين نفسك.

- كيف؟!!

- ستشترين دمية لفأر.. وتضعينها فى مكان معلوم لك تشاهدينها كل يوم.. وفى كل مرة تقتربين منها قليلاً حتى تمسكى بها بين أناملك وتحاولين رسمها وتأملها وفى النهاية تتمكنين من التماسك عند رؤيتك للفأر.. ولا يحدث لك ما تشكين منه.

أغمضت عينيها تسترجع ما قاله: دمية.. فأر.. أرسمه.. تذكرت.. دكتور أين كنت عندما ألقوا بى فى الحجرة.. أقصد عندما غمرونى؟

- نعم.. دعينا من هذا.

فى الصباح.. ذهبت لبائع الدمى.. هناك وجدته.. اهتزت الأرض تحتها.. قفزت خارج المحل.. سألت البائع أن يلف لها واحدًا فى علبة.. وفى المنزل

وضعته فوق منضدة مرتفعة.. وكلما مرت نظراتها من فوقه تردد لنفسها : مجرد دمية.. لا تخافى.

أحيانا تنسى أنه دمية تفقد الشعور بقدميها.. ويهاجمها فى حلمها فأر بذيل طويل يلفه حول رقبتها.. تصرخ وهى تختنق , بينما أسنانه الحادة تقرض سنوات عمرها فى نشوة.. مؤكدة أنه مجرد كابوس.. مجرد دمية.. لا داعى للخوف بعد أسبوع من التمرين المستمر (خطوة- خطوة) دخلت حجرة نوم أطفالها.. وجدته فوق سريرهم.

- يريدون إخافتى.. يالهم من شياطين صغيرة.. سوف أفاجئ الجميع.

امتدت يدها للدمية.. ركضت أمامها بسرعة واختفت.. تجمدت ساقاها وعيناها على المكان الخالى.. لم تكن الدمية إنها فأر.. جاءت سقطتها عنيفة, رقدت فى الفراش ثلاثة أسابيع.. حتى يشفى الشرخ الذى أصاب قدمها.

هذه المرة جاء الطبيب زائرا يحمل حقيبته، سألها وهو يجلس بجوار فراشها.. ضاحكا مما أصابها:

- هل تعرفين ما بداخل الحقيبة؟ حدجته.. اعتدلت فى جلستها.. وملامح الخوف تلونها بألف لون.. صاح الطبيب مسرعًا :إنه دواء سيعيدك طفلة عمر خمس سنوات..وقتما حدثت لك العقدة نعم ستخدرك الحقنة.. وتنام ذاكرتك إلا عن تلك الحادثة وستحكين..قد تصرخين.. تبكين.. تفعلين ما عجزت وقتها عن فعله... خوفك الشديد من الفأر-المخلوق الضعيف- لعدم قدرتك على التصرف لكونك طفلة ذات خمسة أعوام تستيقظ لتجد فوق صدرها فأرا كبيرا. شيء مرعب مرعب.. بل عدم قدرتك عن تفريغ الشحنة كفيل بالقضاء على أشياء كثيرة جميلة داخلك.. ستحاولين معى.. سنحاول معا تذكر ما حدث.. هيا.. اصرخى.. أمسكى الفأر بيديك القى به.. هيا.. هيا..

وبينما تتذكر وتبكى وضع الفأر الدمية فوق صدرها.. فجأة صرخت:

كان فأرا كهذا .. أمسكت الدمية من فوق صدرها حاولت تمزيقها .. ألقتها .. بحلقت:

- لا .. لا بل كهذا.

أشارت تحت قدمى الطبيب الذى هب واقفا فوق المقعد صارخا :

- ابعدوا هذا الشىء.. ابعدوه!!

القصه مهداة إلى الصديق

د/عاطف عبد السلام

استشارى الأمراض النفسية والعصبية

سقط النقاب

دنوت.. تحسستها .وجه جليدى.. بعينيها كذب كالدموع.. ضحكاتها مطلية بالخداع.. أسحب عقد الذكريات.. ينفرط..تتدحرج صورها : طفلة صغيرة بفم وديع. وعيون حالمة كالياسمين.. مراوغة كالبرق..حنون كرحم الأم.

يوم زفافى بكت لتأخذ سريرى.. دولابى.. منمنماتى الصغيرة.. ضمت أثوابى لحضنها الصغير.. متهدج صوتها:

. هى ملكى.. أنا أشبهها.. أرث كل ما وراءها.

****

صرخت مفزوعة.وهى تنزع أظافرى وأنا فوق طاولة الغسل.. حاولت المقاومة.. تذكرت أننى ميتة لا.. لست ميتة أتألم.. أصرخ.

****

يوم سافرت لأول مرة.. أسندت رأسها على كتفى :

- هل تغيبين؟ ألا أراك ثانية؟ لم أعد أخاف تهديداتك بالضرب.. لم تكونى تضربين.. هل سيترفق الطريق بك؟ سأتركك ترحلين.. فقط لأنك ذاهبة لمن تحبين.. غفت وهى تنسج الآمال فوق حجرى.

غابت ملامحها بين ندف السحاب ودفء الحضن الصغير مازال يحتوينى.

****

تجرى الدموع وهى تطلق لسانها يريد تمزيق صمتى.. تشتهى بكائى.. إنها هى.. لا.. لا ليست هى.. تضرم

النيران بعقلى كجدول منساب بدلت مياهه بنفط رخيص.. تثير الأعاصير وتختفى خلف هذا النقاب كملاك طاهر !!

أجفل منها.. أهرب.. تطاردنى.. أمد يدى أبغى النقاب الأسود.. تنثر غبار الكراهية.. تتقرح أجفانى.. لم يبق منها.. غير هذا النقاب.

جارى الاتصال

(مشهد قصصى)

لماذا لا أواجهه.. وأجتث أكاذيبه الناعمة الملساء المنسالة من فمه إلى قلبى، بخفة وبخفقة منه تخدر كل شعورى،لا أسمع إلا نغمات صوته العميق..جرس مفعم بشىء ما، ينسينى نفسى.. أدور.. وأدور معه.. يطوف بى أنىّ يشاء.. لا سأوقفه عند حدود أرسم معالمها أنا.. نعم سأو..

- أوف الهاتف مغلق.. لا بأس بعد قليل.

تدور فى الشقة تتأمل اللوحات.. تداعب نباتات الظل.. الابتسامة تغزو وجهها وهى تتلمس شجرة الدراسينا تحادثها :

- هل تذكرين يوم جاء لزيارتى وتحسست أنامله أهدابك وهمس :

- ما أهدأ منزلك وأروع نباتاتك.

مثلى يحب الزهور..أسندت رأسها على الجزع الدقيق..

أعجبه لون منزلى.. ضحكته ذابت وهو يقول:

- بيت أخضر كقلبك... أهو الجنة وأنت ملاكها الجميل؟

لماذا تتقافز ذكرياته على لحظات غضبى كمن تبحث عن مبرر لفشلى معه.. نعم أجيد اختيار الزهور.. وهو لا يجيد إلا الكلام والتنهدات ونظرات العيون الـ .... يالها من عين أقسم أننى أغرق فيها عندما ترمقنى ويعتصرنى صوته المتناغم همسا معها.. ياله من مخادع يعلم متى يكون رجلاً، ومتى يكون ساحرًا، يداعب الكلمات فتأتيه طوعًا.. يدافع بها حقا وباطلا لقضية واحدة هى نفسه، يحبنى متى يريد ويزهدنى متى يشاء.. يشتاق أو يتناسى.. ياله من حبيب أملس المشاعر.

تمسك بالهاتف.. لحظات.. تلقى به فى عنف

- «جارى الاتصال» «جارى الاتصال».. هل ذهب للوجه الآخر من الكرة الأرضية.. يالى من بلهاء، حمقاء.. أتوتر لقربه منى.. ولبعده عنى.. لكنه يحبنى نعم أنفاسه تنفرط مرتعشة، كلما راودنى وهم الابتعاد عنه. لماذا لا أواجهه بدلاً من إرسال صوتى إليه.. سيلقى بسمته على وجهى، سأصرخ به:

لقد وهبتك الحياة.. نعم حبى حياة.. مغرورة.. لقد اعترف قال:

- أنت عدت بى للحياة من جديد.. بعد جفاف المشاعر ونضب الأحاسيس لسنوات نسيت عددها.. لقاؤنا رى «بلل سنوات العمر الجافة.. انتفضت عروقى.. جرى الوجد فيها.. نعم أنت ضوء، بهر الظلام الذى غلفنى، فاستحى وبعد عنى.. أنت النبع الصافى الذى أنهل منه الحياة.

ـ نعم.. من أجل هذا يبتعد الآن.. لقد تملك النبع.. أم جف كحبه؟

كدمية جميلة وضعنى فى صندوق ممتلكاته.. ضن علىّ بالحياة.

. صوت يخترق سمعها .

. أنت واحة حياتى : شجرة أثمرت ووهبت الظل والثمار.

. وحرمتها الود... ممسكة بصورته .

. تكلم.. ماذا صرت بحياتك ؟! نقاط حبر جاف فوق ورق رسائل أبيض باهت.. سأنهى كل شىء حتى شوقى إليك.

أمسكت بالهاتف.. تطلب الرقم فى توتر..

. هذه السيدة الباردة تمزق رغبتى بثلجية عباراتها «جارى الاتصال».. من فضلك اتصل لاحقا.

. بعد عدة محاولات .

. ألو.. ألو.. حبيبتى أين أنت ؟

.... !!

. غاب هاتفى عن وعيه لم يحرك ساكنا منذ أطربته بحلوحديثك أمس..هل تدرين عندما رويت زهور البانسيه

صباحا. وددت لو تحولت لنورس يطير ويحط تحت قدميك ليقدم تحية صباح تليق بمن أهيم.. تمنيت لو............ ألو.. ألو.

(الهاتف غير متاح الآن... من فضلك كرر المحاولة)

نظر للمحمول بين يديه..

. «جارى الاتصال».........

أهداب

استقصى ملامح وجهها الدائرى، خرج همسه من سرداب نفسه عميقا، عذبا، قلقا.. سأل:

- أترين عينيك فى المرآة ؟

- تلمست أهدابها.. كانتا مشحونتين بدمعة، خاطبهما صوتها المرتعش :

- من أين يأتيكما الجمال وأنتما مجرد حلقات..حلقات من السواد الأبدى المتوحش ؟!!!!!

جنيه ذهب

صوتها يسبح فى الفراغ الذى بينهما ويسقط قبل أن يصل لأذنيه.. لم يستمع إلى كلمة واحدة مما قالت.. وهى تقف.. تشرح.. تضحك.. تجلس.

عيناه معلقتان بصدرها، يتأمله وهو يرقد مستقراً، لامعا ساخرا فوقه، ترفعه لشفتيها، تعبث به، تدحرجه، يتشبث بالسلسلة الذهبية يتدلى فى عناد. ثمنه ثلاثمائة جنيه. آخر قسط للحجرة مائتان وخمسون جنيها.. كيف أطلبه منها ؟

الذهب الوحيد لديها، وهبه لها صاحب المصنع هدية خطبتها.. كانت أول مرة ترى جنيها ذهبيا.

أشفقت عليها أمها..وهى تراها تعلقه فى فتلة من الصوف المجدول لتراه على صدرها ثم ترفعه وتضعه برفق فى مكانه. انسكبت دموعها وهى تخفض رأسها ؛ لتنزع الحلق من أذنيها.. قالت وصوتها يموج بالحزن :

- سأبيعه.. أشترى سلسلة للبنت، تعلق فيها الجنيه الذهب.

- لكنه الباقى من ريحة المرحومة أمك.

جففت عينيها بكم الجلباب.. رفعت رأسها فى إصرار :

- الحى أبقى من الميت.

سحبت همسها من بين أضراس الوهن :

- أمى فى قلبى لكن ابنتى.. ابنتى......

ألقت بالحلق بين يديه.. لحقت بها عيناه وهى تهرول إلى المطبخ.

ارتعش فم الفتاة _ حين عودتها من الخارج _ وعيناها تقعان على علبة القطيفة الحمراء المسجاة فوق المنضدة.. شاغرة بدون الجنيه. سبقت كلامها نظرة إلى الجنيه معلقا فى السلسلة.. هتفت :

- ذهب السلسلة دى ذهب يا أمى ؟

تعلقت بصدرها تقبلها.. لم يلفت اهتمامها غياب الحلق.. غرقت فى تأمل صدرها. تتباهى على المرآة، بفتنتها السابحة فى بريق الذهب.

اعتقد خطيبها عندما شاهده يتدلى من صدرها ؛ أنهم لن يعجزوا عن شراء حجرة النوم بألفى جنيه.

عاد الرجل ينظر إلى صدر ابنته :

كيف أطلبه منها الآن.. وماذا أقول لها ؟ أعطينى الجنيه الذهب.. أبيعه.. موعد القسط قد حل ولا أملكه.. ولم لا؟!

فحجرة النوم لها.. كيف اغتال فرحتها ؟

- لا.. لا.

- ماذا حدث يا أبى.. لا داعى... اختر أنت الموعد.

- موعد ماذا ؟ عما تتكلمين !!

- الزفاف..كنت أقول لك إن خطيبى يريد الدخول بعد شهر.. لو لم يكن مناسبا.. نجعله بعد شهرين.

هل أقول لها الآن.. إن زواجك متوقف على مائتين وخمسين جنيها.وأن الجنيه الذهب يحل الأزمة.. كيف أكسر نفسها أمام عجز أبيها ؟! خرجت الأنة منه كما لوكان يقول :

- يارب.

- ماذا بك يا أبى ما الذى يضايقك ؟ هل أنت حزين لأننى سأترك البيت ؟

تعثرت نظرته فوق نتوءات القلق الرابض فى عينيها مزقتها.. همس :

- يا ابنتى... نعم أنا حزين مهموم.

ضمها لصدره.. معلقا عينيه بخط واه يمتد من السماء لداخل الغرفة.. برفق تملصت من بين ذراعيه، تدارى دمعاتها، بكفين مرتعشتين.. تأملته كاتمة مرجل قلقها فى صدرها:

. هناك شىء آخر.. أرجو الا يغضبك منى.. لقد طلب إبراهيم خطيبى أن أساعده فى دفع مقدم البوتاجاز.

انتفض واقفا.. أقعدته برقة :

لن نأخذه منك بالطبع.. أنا عارفه الحال.. فكرت فى بيع السلسلة الذهبية.. هى تفى بالفرض.

انفجرت الكلمات من فمه:

...... والجنيه الذهب؟!

- لا.. لن أبيعه فهو أغلى من السلسلة.. سوف أحتفظ به عندكم.. إلى أن يفرجها ربنا.. ويشترى لى إبراهيم سلسلة غيرها.. ماذا ترى يا أبى؟

طال صمته.. خالته لن ينطق أبدا.. عيونها تتلقف الحروف من فمه :

. الفرح بعد شهر يا ابنتى.

دمعت عيناه وهو يدور فى حجرتها الخالية من أنفاسها. الليلة تدفئ أنفاسها منزل رجل آخر.. بكى طويلا أمام صورتها، تزوجت طفلته اليوم، غادرت البيت، لكنها مازالت

تسكن القلب، نظر لفرحة الأم.. تأملها وهى تنفى دمعتها بعيدا.. يشرب الوجه بسمتها المرتاحة.. خلعت وشاحها من فوق رأسها، أسندتها على كتفه، تأمل الفتلتين المتدليتين من خرم أذنيها.. يذكرانه بالحلق، ألقى ببصره المذهول إلى علبة القطيفة الخالية.. من عمق قلبه نز سؤال:

ـ ماذا أقول لأبنتى عندما تأتى لتسترد الأمانة؟!!

طوّاف

عشقت قسوتك، وأنت تعتصر آخر نقطة من دمى فى كأسك المرمرى، تطوف به القبائل،ترشفه فى زهو وفرح،ناسياً من تنتظر،ثم عدت من جديد لتطلب المزيد.

لم أكن سوى همود، لا يثير فيك رغبة التوحش وعشق التملك،للمتنى، ألقيتنى فى سجن مملكتك وطفت من جديد.

تشكيل..

القادمون يسرقون الشمس

وهو ينحت تماثيل بلون الثلج،طيور كثيرة باردة تحط على الأحياء البعيدة. هوى بإزميله على جبل الصمت.. تلفت يمينا وشمالا،يدور فاردًا ذراعيه،مغمضًا عينيه،توقف فجأة.. نهنهات قلبه موسيقى الخوف.. ضم طواطمه بعينيه.. فرك عيونها بصنفرته.. زفر كرياح غضبى:

- ألم تروا؟ أنظروا لقد أشرقت الشمس.. مازالت هنا تستيقظ فى بلادنا ... ضم ذراعيه إلى صدره.. يهمس لها :

- تلك النار التى تشعلها أقاويلهم تأكل كل شئ.. لكن نارك نور يهبنا الحياة.

أكثر همسا : أقاويل من؟ هؤلاء ـ مشيرا ـ للطيور والبيوت التى خلفها. صارخا يحاصر صوته النيام:

ـ انظروا.. إنها تأتى بالفجر من أرحام أيامنا.. نحن موطنها الأصلى.. نعيد الروح لها.. هيا استيقظوا.

يهز تماثيله،نقراته مضطربة يوزعها على الأبواب،سباب يقذف فى وجهه.. ركلات.. بصقات.. فر منهم هاربا.. اعتلى سور شرفته :

ـ إنهم قادمون.. أفيقوا.

تحلق حوله الغاضبون.. أوسعوه ضربا،يبكى،يشيح بيديه،كمن يطرد ذبابا تكاثر فوقه،انصرفوا،تكوم مسلما عينيه لإغماءة. اقترب منه الأطفال وهم يفركون أعينهم.. أيديهم تهزه،يقفز ليذود عن نفسه.. لا يعتدون عليه.. تتساءل علامات التعجب المنحوتة فوق أجفانهم المثقلة بالنعاس :

ـ كل يوم ياعم توقظنا مع الشروق.. لماذا.. ألا تنام؟

نزع الهم.. عاوده الاطمئنان.. أجلسهم حوله تحسس أكفهم الصغيرة.. ونظر لأعلى :

- انظروا إن الشمس ترنو إليكم.. إنها خائفة.

أشار للطيور الباردة الساكنة المتربصة.. انتفض واقفا.. هيا أشيروا إليها هكذا.. رفع إصبعيه بعلامة النصر،جذبه طفل من يده:

- هل كنت ضابطا ياعم؟ .. باغته الصمت..

- ما حكاية الشمس ياعم؟ كلنا نعرف أنها تشرق من الشرق.. صارخا :

- نحن الشرق.. هنا الشرق..

انزوى فى صمته ثانية وهو ينصت لحيرتهم :

- أبى يقول أنك فنان تشكيلى.

- لا.. أبى يقول أنه لابد كان ضابطا.

- أبى يؤكد أنه مدرس أو سياسى.. ذهب عقله.

أجهش ببكاء مر:

- آباؤكم يعرفون كل شىء.. يؤكدون على كل شىء.. حتى عن هؤلاء - يشير للطيور - مترنحا كأنه لايليق بنا النور،على القادمين أن ينقذوك منا أيتها الشمس ويحرروك..

يغرقوننا فى الغروب.. نحن يا أبناء الشمس.. نبيع،وهم قادمون يشترون.. لا بل يغتصبون.

تحرك بعض الرجال نحوه ثانية يريدون قذفه خارج الحى.. تحلق الأطفال حوله،يدفعون عنه الكبار. الآباء يصيحون فى الأبناء أن يبتعدوا.. نظرة الأطفال تبرق.. تعانق أشعة الشمس.. وهو يبكى.. يضحك.. يبكى.. يضحك.. ويضحك.. ويضحك.. أصابعه تشير لأعلى.. يهمس لهم :

- انظروا الشمس ترسل مركبا إليكم.

يضم ذراعيه.. يغلق جفونه.. يرتكن إلى الحائط وهو يضحك ودموعه تغزو وجهه الأسمر.

حالة ود......!!

(❖ م)

مندفعا رفع على ظهره الحامل الخشبى..الألوان.. الأوراق.. الفرش، قبض على تسجيل صغير، ترمس القهوة، بجرأة ركل الباب بقدميه فتحه وتقدم.

(❖ ع)

عكفت على طبق الأرز، تنتقى الحصوات،تقذفها فى عدم مبالاة فوق الطاولة، رفعت رأسها،تنهدت، عاودت

النظر فى الطبق، بهدوء.. نادت على الخادمة أن تحضر لها المنفضة بجوارها، رمقته ولم تسأله.

(❖ ك)

كاد يسقط على وجهه.. ابتسم ببلاهة.. مرتعشة ألفاظه:

- سأذهب لرسم البحر.. الطبيعة.. السماااء، هل تأتين معى؟

- ومن يطبخ لحضرتك؟! ينظف.. ويخيط ملابسك التى تمزقها كالأطفال؟!!

متوددا:

- دعك من هذا،لقد تعبت، اتركيها للشغالة، نامى أو شاهدى التليفزيون.. أو...

(قاطعته):

- أنام وتذهب أنت للعرايا على الشاطئ، أشاهد التليفزيون وأترك عينيك تعبثان فى الأجساد الطرية..

لهؤلاء المائعات اللاتى ترسمهن،طبيعة !! أى طبيعة؟!!
سأوفر لك أجمل من الطبيعة.

جذبته إلى داخل مرسمه :

- هنا الطبيعة.. تخيل البحر.

- كيف؟!!

- ألا تعرف التخيل !! أفضل لك أن يعمل خيالك وإلا....

- ياحبيبتى لا داعى للتهديد، أنا فنان.. والله فنان،وآخر مرة تخيلت فيها رسمت امرأة.. فأصدرت أمرا ألا أتخيل.. هل تذكرين؟

(* و)

- وجدتها.

صاحت بها ثم اتجهت نحو الشبابيك أغلقتها،جذبت الستائر الثقيلة،أظلمت الغرفة،أشعلت شمعة،سحبت بعض الزهور المجففة؛ وضعتها أمامه،وخزته بعيونها :

- جو شاعرى...ضحكت حتى لمعت أنيابها.. اقتربت من ذبالة الشمعة الواهنة برز وجهها بظلاله،حدجها بنظرة طويلة.

(❖ س)

- سريالى.. انتفض بعيدا عنها هاتفا.. قالت :

- (أفندم) ماذا تعنى؟!

- سأرسم لوحة سريالية.. بل تجريدية.. نظر للحيرة فى عيونها ثم قال:

- ستـرين.. اجلسى.. نعم.. هكذا.. لا.. ارفعى رأسك قليلا.. نعم.. اشمخى بأنفك.. هذا رائع.. يكفى.

- أترسمنى بعد زواج تسع سنوات.. لم تفكر فيها مرة واحدة.

- نعم لقد ألهمتنى الآن.

- ألا أرتدى لك ثوبا أفضل،أطلق شعرى؟

- لا.. لا هذا أكثر مما أحتاجه.

ساعة.. ساعتان.. وهو يرسم. البسمة لا تفارق وجهيهما
ـ فجأة ـ سألها:

ـ هل تفضلين اللون البنى الغامق.. أم البنى المحمر.

ـ لماذا؟!!

(❖ هـ)

هجمت، نظرت إلى اللوحة، تراجعت للخلف، أضاءت الأنوار، فتحت الشبابيك، عاودت النظر..

(كلبشات) رمادية ملطخة باللون الأحمر !!!!!!

امرأة من صبار

- شجرة على شكل امرأة؟!

- بل جذع صبار مقيد به امرأة.

- هل نستطيع فكها؟ فلنحاول.

- لقد التصقت به.. انظر.

- ياإلهى.. لكأنه ظهرها !!

- أو هى وجه له.

- هل تتكلم؟

- إنها تبكى.

- هل تبوح.. لماذا انتحابها؟

- نظراتها زائغة !!

- هل هذا فعل الشيطان؟

- عارية النهدين.. عجبا !!

- أنظر.. ترضع الطيور،تمشط ريشها بأنفاسها المتقطعة.

- ماذا لو اقتربنا منها؟

- قد تغضب؟

- لعلها.....!!

- أظنها ليست من صنع الشيطان.. فالشيطان لن يطعم طيرا.

- فلنقترب.. ما هذا؟!!

- انسحقت الأرض تحتها.. أذابتها.. ابتلعتها.

اقتربا مرعوبين.. يا الله!! حمامتان نائمتان،ممسكتان بغصن محترق.. تحت حية تسعى شرقا.

الإنسان أصله شجرة

تضورت المعدة،التفت حول نفسها تكاد تأكل طياتها.. جذبنى عواؤها إلى داخل "الكافيتريا"طوانى المقعد.. انثنيت للخلف متوسدا ذراعى، متأملا من حولى، أتلهى بهم فى انتظار الطعام، انتصبت عيناى،وقعت فوق عينيه المجوفتين بعمق لجة الليل، يتأملنى،يتفرسنى،يغوص فى أعماقى،يجمع الحروف بداخلى، يقذف بها من بين شفتى. «جائع مثلى..لعله كذلك»

يرتب الأفكار المبعثرة،يبعثها من بين خلايا عقلى.

«متعب بلا عمل.. ضائع كضياع الغد».

يعاود البحث،ينبش،يحفر،ينثر،ما بقى بداخلى،أصبحت فارغا خاويا.. ضحك:

- تتمنى حسناء تؤويك فى فراشها،تتبت لك حبات العيون والقلوب.. أنهكنى البحث فيك،كلانا وحيد ينتظر.. باغتنى بسؤال:

- هل أعطيت كل ما عندك ولم يبق شىء؟

من أدراه أننى وهبت آخر الأمنيات التى أحملها فى جرابى منذ ولدت.. أجمعها حتى جاء يوم،ناوشتنى رغبات العطاء دغدغت رجولتى،شهامتى،فوهبت.. حتى أضحيت كجرابى.. خرقة.. مجرد أسمال تعدو فوق الأرض الصلبة.. فتلفظنى.

«همس بأسى».

- كن نخلة،تبسم للحجارة،تسامح وتهب فى كبرياء.

أنصت لصوته الأجوف يرن عند عتبات أذنى باغتّه:

- منطق الضعفاء.. كيف أسامح والأرض رحم مأجور لاترغب فينا؟ جف الضرع، نقتات بما بقى من دمها.. تجف، تتشقق كلحاء الشجر.

اعتصرت جملتى عظام وجهه، طال أنفه، غار فمه،رنا إلى المدى ليطويه،عاد بعمق سنوات الألم يردد:

- يا صـــديقى.. الأرض عطشى.. والماء آسن.. وأنت وأندادك لبستم ثوب «الهالوك» أقمتم الأحلام فوق الأوهام.

جمدت نظرته إلى أعلى،شرخ صوته صدرى بأنينه المكتوم،هرولت فى مساحة الشبرين التى بيننا،لامست منكبيه العريضين هززته.. تساقط لحاؤه خشنا.. طرقعت الضحكة من خلفى.. نظرت لتلك اللاهية عالجتى، بسهم نارى:

- إنه شجرة،بقايا جزع شجرة منحوته،ظننتك فناناً تشكيلياً من نظرتك له - وضعت الصينية - أتأمر بشىء آخر؟

اخترق صمتى بهجة عينيها..ألقيت بجنيهات لها،تاركا الطعام باردا ببرودة أطرافى،نزفت حروفى سؤالا:

- كيف يأمر بقايا إنسان؟ صحبت بعض أجزائى،منصرفا،ولم أسحب بعضها الآخر.

نشرت بجريدة المساء.
فبراير ٢٠٠٢

الفقد!!

أحلام مثلجة

أتلمس وجـه القـمـر،يداعـبنى وخـز خـفـيف كطعم الخوف،كلما اقتربت.. ابتعد،فارًا من لحظة العناق؛ التى حلمنا بها.

أشب على أطراف الحلم،علّى أصل لما يحجب بسمته عنى،أزيح تلك السحب الشاحبة،تعلو بسمته وجهى،تهزنى يداه وهو يجذبنى،يضمنى إلى صدره. أفيق،أجده ممددا بجوارى:

- لقد عاد !!

انثنيت كعود الياسمين المشتاق لقطرات من رضاب الحياة،تعرف شفاهى طريقها إلى جبهته،يتشوق صدرى لنبض قلبه،انغرس رأسى فى الوسادة،لم يكن نائما بجوارى. مازالت وسادته تحمل عطر أنفاسه،ألملمها،أستنشقها،تختلط بأنفاسى اللاهثة،عدت على دقات قلبى أراقص النجوم فى حلمى الهائم.. ألا يحملنى هذا السحاب إليه؛ لألقى عليه سؤالى حاد النصال و الذى مزق لحظاتى:

ـ أتحتمل الآم الغربة؟

أمازالت قلوبنا تحتمل هذا الهز العنيف الذى يشبه أزيز الطائر المعدنى المحلق فوق نيلنا الأسمر،يرحل بالأحباب بعيدا خلف التأشيرات و الحدود،هاربا من وطن غاضب إلى وطن بالتبنى؟!

اقتحمت صديقتى الوحيدة يوما خلوتى.. سألتنى:

ـ بماذا تشعرين بعد سفر زوجك؟

ـ كمن وضعوا أفكارها ومشاعرها فى خلاط.. فما عدت أميز من سرعة الخفقات.

ضحكت عاليا و قالت :

- أحدثك بجد.. وتهزلين.

اجتاحتنى الرغبة فى البكاء.. فلزمت الصمت.. ثم جاء صوتى من بعيد :

- أشعر منذ سفره أننى ألقيت فى جب بعيد لا تمر به السيارة،لا أجد من يمد لى حبل الإنقاذ.

جمدت نصف ضحكتها :

- راوديه عن نفسه ليعود.

اقترب صوتى التصق بشفاهى :

- كفانا مراوده.. راودوه عن أحلامه.. آماله بعرى فاضح.. لأفكار عقيمة لا تستحى الجهل و التخلف.

- إذا هو هروب؟

- نعم.

- إلى متى؟

- قد تنتهى الغربة غدا،أو بعد عام،أو يضيع العمر كله مطاردين من الذئاب.

- وهل نحن خراف؟!!

- إذا كنا لانقول: لا.. فنحن كذلك؛ الخراف تقول ماااء وتلك فلسفتها.

- وهل للخراف فلسفة؟!

- ماااء.. ماااء قد تعنى أنها تحيا لتطعم و تذبح وتهبهم اللحم و الصوف و.....

- كفاك.. هل ستعددين فوائد الخراف؟

- يا صديقتى إنها فلسفة اليوم الواحد،فغدا يكون ذبيحا و لهذا هى كائنات صالحة لأغراضهم،وغدا ستجدين على ظهر كل هؤلاء.. فراء من الصوف أو الحرير.

- أهناك فروة خروف من الحرير؟! إنك «خرفة».

- حتى كلمة "خرفة" قد تكون مشتقة من الخراف.

- أكل هذا يفعله بك سفر زوجك؟

- إننا مسافرون فى كل لحظة تنسحب فيها حبات التراب من تحت أقدامنا لأنها ملك خاص لهم.

ـ هم.. هم.. من يكون هؤلاء؟

ـ من زرعوا الغربة فى عصب حياتى،فنبتت شقاء وتعاسة،وانتظاراً.

ـ ليتنى ما سألتك عن شىء.. أنت بركان،أطلقت حممك؛ تصهر نقطة الأمل الوحيدة.

ـ كيف؟!!

ـ إنك برغم غضبك قوية،لكننى خائفة من لاشىء. في غياب زوجى.. ترعبنى نظرات زميلى أو جارى.. أتمنى لو أغلق عيونى التى قد تقفز منها أى رغبة فى معرفة دواخلى إننى لا أنام ليلا؛ فى كل لحظة أقوم لأتأكد من غلق الباب والنوافذ.

ـ لكن زوجك غير مسافر !!

صمتها لف حوارنا،خضبه بالحيرة مثلما يحدث كلما جمع بيننا حديث الغربة وينتهى ببضع نقاط لدموع بدون هوية.

انسحبت من ذكرياتى، عدت أجمع القلق فى راحتىّ، أسد به ثغرات غيابك، التقط كل الأعذار الصدئة من فوق جدار الذكريات، أمنى نفسى بلحظة عودتك إلى مكانك فمازلت استخرجك من داخلى لتضىء ليلى.

اغسطس ٢٠٠٣

كوز ذرة...

طاف وطاف.. جمع الأضواء المتلألئة فى عينيه.. اقترب من «الفاترينة»، بهته السعر،حاور نفسه.. أقنعها :

ـ يكفى قميص مع البنطلون القديم،لا داعى للبدلة.

عاد ثانية يطوى الطرقات يقفز فوق أرصفتها.. وصل العتبة.. هى الأرخص دائما هتفت ملامح الرضا على وجهه:

ـ قميص مقلم لو سمحت قلم أزرق فى أبيض.

تذكر ولده الصغير.. يرتدى فانلتين صيفيتين.. هو لا يملك «بلوفر» ثقيلا «زوجته قلبت التنورة على الوجه الآخر

حتى تدارى زوال اللون» كومت يداه القميص أعاده للبائع «شيعته عيناه وهو يخرج والفكرة تتقافز فخراً فى رأسه.. سيدخل عليهما بما يحلمان به منذ شهور.. ستفاجأ زوجته بقماش الفستان الجديد.. تستطيع تفصيله فهى ماهرة.. سيتباهى الولد «بالبلوفر» الجديد.

تسللت رائحة الذرة المشوية إلى أنفه انكمشت يده داخل جيبه،باقٍ خمسون قرشا،تذكرة الأتوبيس بربع جنيه.. الذرة بخمسين قرشا، تسمرت قدماه أمام القصعة الملتهبة وطقطقات الذرة تناديه.. ضم الأكياس إلى صدره، وهو يقضم الذرة الساخنة.. يتمشى عائدا للبيت.

نشرت بجريدة السياسى المصرى. مايو ٢٠٠٤

موسم رحيل العرائس

صرخته مزقت صمت الفضاء،يرجع صوت الألم، يوزعه على كل الآذان.. لماذا؟

يرتد إليه الصدى حزينا بلون دخان القنابل، مخضبا بالحقد الأسود، عاد يجمع صرخاته من فوق الألسنة: لماذا لم تبق معى؟؟

مسدت الأم الصابرة على شعره:

ـ ابك يا ولدى «عروسة حلوة مغربين بيها،الشعر ناعم والبياض فيها».

انتفض صدره يهبط جبال الذكرى ويعلوها،يتذكرها يوم حلقت شعرها.. ضفرته.. قبرته تحت التراب، وأرسلت نظرتها لعينيه ترد سؤالا أبكم:

- إن تحررنا سينبت ويطول مع شجر الزيتون أو يلحق جسدى به لعلى أنام، تعبت من أشباح هذه الذئاب المحمومة وهى تتلهى بخلايا أرواحنا،من لملمة أشلاء صرعى لعجوز يصرخ وصغير يبكى.

تتكور تضم ركبتيها.. ترفع وجهها، يمد يديه يجمع بلورات الندى من عينيها، أهداها للزهور الساجدة فوق وجنتيها، وشفتين ضمهما الصمت، همس ما بين خواطرها وأذنها:

- حبيبتى أنت قطرة ندى.. ترفقى بنفسك ماذا تفعل قطرة الماء فى حجر صلد نجس؟!

سكون الكون يثور نجوما متوهجة فى عينيها..صاحت:

- قطرة ماء تشق الحجر.

قبض على الرمال نثرها جمرات من سجيل، جاءه صوت الأم المتقطع:

- «إزاى نوم اللحد يا قمره.. اللحد حامى خلى البياض غبره».

سحقته الكلمات.. أيقظته من غفوته.. تكوم بحضن الصبار منتحبا.

- لم تبح لى ياخاله،لم تخبرنى أنها من ستفجر ضيق الصدر،وتنثر بعض دماء الطهر لتحرق وجوههم.. ليتنى ضممت بريق عينيها حين رمت نظرتها ناحية حقول القمح المحترقة،وقامت ترقص فوق علمهم الأبيض المرسوم عليه بلون الموت. ليتنى جمعت نغمات صوتها وهى تغنى أبياتى المحفورة بجدار قلبها:

(أنزع الشمس المقتولة من حضن الليل.. تخضر الأرض.. وتزهر).

تحسس شفتيه يسترجع طراوة القبلة المبللة بدمعتها،نسمات الجنة خلف أذنيه وهى تهمس:

- هل سترحل؟؟

بلون الخجل داعب الرمال تحت قدميها.. حلقت بعينيها بعيدا، تجدل وهج الشمس وبراءة القمر، تنثرهما فوق

ثغرها، ثملة بالحب، نشوى بما دغدغ مسامعها فى لحظات بوح رخو هامس، امتدت يده، انسحبت كنسمة الصباح الهاربة من قيظ اللحظة، على استحياء كأنها فكرة، التفتت إليه:

- غريبا تعود؟! لا تملك إلا كلمات، أبيات فى أشعارك بينما تتهدم البيوت وتجف أضرع الأنهار.

حاول أن يستبقيها . فرت من بين عينيه .. ضم الهواء:

- أنت وطنى .. وأحلى قصائدى،فلنرحل معا .. ننجب.

- لن تنجب أطفالاً فى أيديها الحلوى.. هل تبقى حتى الغد؟

شق نحيبه رهبة اللحد:

- انتفضى.. قومى.. تدبرين وترحلين خلف ضفيرتك.. لماذا أبعدتنى؟! هل صرت بعينيك كيانا هشا؟ لماذا .. لماذا أحببتنى؟!

امتدت يداه تحفر تحت الشاهد .. احتبس الصوت خلف قضبان الجرح، عيناه ترسمان حروف اسمها (....) تزرعه لينبت ألف حرف:

ـ وفاء.. أعرف أنك لست هنا، مازلت عالقة قطرات فوق بياذاتهم.. مدافعهم.. أسلاكهم.

ألقت الأم رأسها فوق كتفيه :

ـ أحبت الحياة يا ولدى.. ماتت لأنها أحبت الحياة.

ارتكن بجوار القبر.. تحفر دمعاته مجرى فوق الشاهد.. أنفلق.. ترنحت النظرات غربا.. شرقا.. حمل فتات الحجر.. نظر لكفه ينضح منها لون المر باغته النداء:

ـ خذ بثأرى.

انتفض يبحث عن الصوت.

ـ خذ بثأرى.

الدماء تسيل من تحت قدميه تروى ظمأ الأرض العطشى.. الرمل الأصفر يتحول للقرمزى.. يعانق الصبار.. يتذوق مرارته بطعم الحياة.

القصة مهداة إلى شهيدات فلسطين

نشرت بجريدة المساء

يونيو ٢٠٠٢

الودع

ألقت بالودع. تموج الرمل الأصفر الهادئ.. ثقبته بأصبع نحيلة سوداء.. ماتت البسمة فوق الشفاة المكتنزة.. نظرت بذبول.. وصوتها الهامس يرتعش:

- كأن قدرك أن تخرج منها يابنى !!

- مم؟!

- ستدعو لك أرحام الثكالى.. لا تتاجر بها.. قد تموت دونها.

- من هى؟!!

مدت يدها:

- «وشوش الدكر».

رمقته.. تفحصت الرمل،حركته،قلبت الودع،داعبت نتوءاته بأظافرها تمدد كحيوان أليف بين يديها.. دبت شوكته الأمامية فى قلب الرمال؛ تناثرت زافرة صمتها.. قذفت بالودع عاليا؛ اختفى.. نظرت للسماء:

- ابتلعت الشمس أمنيتك.. وهى تغيب _ أومأت برأسها - لكنها ستعود.. وغدا يلملم ولدك دنانير الذهب من تحت أشجار الزيتون.. دنانير ترسمها شمس جديدة.. لولد أبى عنيد.. لن يرضيه إلا ذهبها.

- فسرى !!

- ما حجب لا يفسر.

- خذى بياضك.. عشرة جنيهات.

- ضع نقودك يا فتى هى ما تظن أنك تبحث عنه.... مسكين!!

- أتريدين دولارات؟ لست سائحا.. غدا سأمتلك الكثير.

لن تعود من سفرتك بالدنانير.

- دولارات.... دولارات..لم يعد لدنانيرك قيمة ولا وجود.

أبحرت قدماه فى الرمال عائدا.. اثقلته الحيرة.. لم يدر متى وصل إلى أول الطريق.. أراد أن يكون قبر والده آخر مكان يزوره قبل السفر.. أن يتنفس ملامح الماضى.. فتجرع الخوف.. والحيرة بكلام العرافة.

- من الذى ألقاها بطريقى؟ وأى من كلامك صادق يا امرأة؟

فردت الأم رموشها أشرعة تحمله،حجبت دموعها.. تكورت ماسة لا يبتلعها إنسان عينيها ولا تفر فوق الوجنات الساخنة القلقة على حبة القلب فى غربته.

- "لن أنتظرك يا ولدى ".

قالتها و هى تدير وجهها عنه حتى لايعلم.. أنها بدأت رحلة الانتظار منذ قرر أن يحمل آلامه و أحلامه ويرحل عن الوطن المجروح، ألقمت أذنيه بعض الدعوات وسرجت

له جواد الأحلام.. أطبقت يديه على اللجام و هى تترنم بآخر النصائح :

- فى البلاد المتزينة.. الباردة.. كل شىء مصقول كسطح الثلج.. لابد أن يمتص حرارة جسدك حتى يذوب.. سيرشقون بسماتهم فى عروقك يمتصون منه ما أرضعتك من ثديى،يوزعون مشاعرك على الأحلام الثائرة.. يغسلونك ببرودتهم.. فتعود أملس.. ناعما،ثلجى النظرات.

ظلت الذاكرة تنبض بكلمات العرافة.. تدور رحى الذكريات فتلقى بالماضى متناثرا فوق ملامح أيامه التى كان يأمل أن تكون جديدة.. كانت أشجار الأرز والجبال السامقة تشده نحو الشرق، تحت شجر الزيتون الذى كان يقيس طوله عليه.. يوم صار شابا تأمل الشجرة وسأل الجدة.. متى تكبر؟

ضحكت: نرمى البذرة يوم مولدك.. ولا يحصد حبها إلا ولدك.

- لكننا سنرحل ياجدتى خلف أسوارهم الشائكة.. ولن نبقى بجوار شجر الزيتون.

نكست الجدة وجهها.. عانق التراب:

- الله يبارك فى القادم يا ولدى.

هبط كلام ضاربة الودع على أحلامه أيقظه من غفوة الليل الثلجى القسمات.. تأمل صورة الأقصى فوق جدرانهم الميتة.. وأعاصير الأسئلة تقتلع فرص الإجابة.. هل أعود حقا؟ أم يعود ولدى.. و متى تراه سيأتى هذا الولد؟!!!

حبات من عقد الفل

أقف أمام مشاعرى عارية، أمارس رقصة الكوبرا الفرعونية، ألتف حول رغباتى، أغرس فيها أنيابى، تتلبسنى الأفعى لحظات.. أنجو منها بمزيد من تكبيرات الخوف.. مدد يا رفاعى، ينقذنى رفاعى، يرفعنى فوق علامات الأسى و الحزن فى سيارته الحمراء اللامعة ذات الزجاج الأسود، أرى الجميع من داخلها، ولا يرانى أحد، يهدينى عقدا من فل، يصحبنى معه لمطاعم أولى العزم من رجال المال، ينثر بذخه فوق موائدهم، أشتهى طعامهم.. أهم.. تلتهمنى عيون الجوعى، تطل من صحونهم، تبحلق

فىَّ، تمد أذرعـهـا لحلقى تنتـزع بلعـومى، أحـاول الصـراخ، تتـجـاذبنى الأيدى، تخـمش جلدى الوردى الناعم، يمزقـون ثيـابى.. يضـحك رفـاعى، تتكور ضـحكتـه فى بؤبؤ عـينيـه، ينفـجـر.. ينفـجـر كل من فى المكان، اركض.. أحـبـو فـوق درجات السلم.. ألهث.. يتراقص تحتى.

أدفع باب الحانة بجسدى من بين سحابات رمادية، أرى رجالا يابسة فوق المقاعد. هززتهم، تناثروا، تفتتوا ولم تزل نظراتهم جامدة.. انشق المكان عن العراء: جماجم و بقايا من أحذية التتار.. كلما جريت تكورت الأرض تحتى، لا أعرف من أين بدأت؟.. كيف جئت؟.. هناك حيث الضوء قطرات ترسلها السماء بطعم الملح، لكنها تروى ظمأ الرمال.. تحولت الأرض لرحى تراقصنى رقصة سالومى.. صرخاتى تعلو:

- من أبيع؟!!

أتلمس عقد الفل مازال يعانق جيدى.. أصرخ.. أشق صمت الليل الحزين.. تهرع أمى تشعل الشموع تضمنى لصدرها.. تهمس.

- لعله حلم، صوت المدافع أخافك، لون الموت حولنا أرعبك.. مجرد كابوس.. نامى، تسكب علىَّ آيات الله.. تريح ظهرى.. تفتح قبضة يدى.. يتساقط منها حبات من عقد الفل.. أبحلق فيها.. أحاول الفهم.. أحاول النطق.. يرف قلبى كورقة ترشف الريح السكرى.. مرتعشة على أوتاره التى مزقت صمتى:

- أيكون حلما يا أمى؟!!!

نشرت بجريدة المساء. مايو ٢٠٠٣

حدوتة صهيونية

يا سادة يا كرام.. صلوا على خير الأنام واحمدوا الله كثيرا.. حمدا لمن جعل سير الأولين عبرة للآخرين - إذا اعتبروا- أما بعد.

فهذه سيرة الفتى (شارون) الشبق للدماء. البطل الذى شاع صيته فى الأقطار والبلدان وأذل كل كرار مغوار.. عنيدا كان أم جبارا.

- حدثنا يا خال عن تغريبة العرب. وحربهم ضد أحفاد القردة.

- هذا يا ولدى قول شرحه يطول.

- هل هم حقيقة.. أم خيال.

- هناك من زعموا أنها الحقيقة، ولكن بإعمال العقل فى الأمور نجدها أغرب من الخيال، وأبعد من المحال.

- هل هى حدوتة عربية؟

- بل حدوتة صهيونية.

(مالى شتت الأفكار) فهربت من ثنايا عقلى وذابت من سن قلمى.. أين ذهب الوحى عنى؟ كيف فر الآن منى؟!

«حدوتة صهيونية» فكرة جيدة لقصة حفرت بعظام الشهداء.. كتبت على اللوح بالدماء.. إنها معجزة لكل إبداع.. وإن كان باعثا للأوجاع.

أين ذهب حماسى لكتابة هذه القصة قلت سأستلهم التراث: حكايات أبى زيد الهلالى والزناتى خليفة.. سأستند إلى سواعد أبطال العرب.. أستمد منهم الحلم الموؤد فى رحم الواقع.. لعلى أخطأت حين اخترت عنوانها «حدوته صهيونية».. ربما اندفع القلم إليه رهبة، من مكرهم.. أو نفر من ضعفنا وهواننا.

ضاعت فكرة القصة كما سقطت كل المعانى التى تحملها المفـردات فـوق ظهـورها تفـر بهـا من الألسنة تحـاول منع التشدق بها فى أفواه نتنة معبأة بخمر دموية.

القصص والروايات عاجزة أن تلد مبدأ يعتنقه اللئام.

لماذا لا أحاول من جديد؟

أهرب للماضى السحيق أستجدى منه بطولة.. وإن فعلت فلمن أكتب: للمثقفين أصحاب الأقلام المقصوفة والضمائر المجففة؟! للمتعلمين الأميين؟! أكتبها للأطفال وأغير العنوان بدلا من حدوته صهيونية أسميها.. «كيف يولد البطل فى السيرة العربية»؟

هذا لا يصلح عنوانا.. أسميه «مولد بنى صهيون» أسرد فيها مواقف الغدر والخنوع.. أكتب..... أكتب..... لا.. لن أكتب.. وهذا قرارى الأخير !!

دمعتان

رفعت أهدابها، تفرست وجهه:

- (نعم غريب).

من خلف النظارة وجريدته المختبئ خلفها:

- أتريدين شيئا؟

- أعد لك القهوة؟

- نعم

قذف بصاته تجاهها وهى متعثرة فى ثيابها.. همس لنفسه:

- أى ذنب ارتكبته حتى تتحول فتاتى لمجرد آلة لإعداد القهوة تستلقى بجوارى ورائحة المطبخ عطرها، مهزومة كل جمل الحوار حينما أجالس سيدة تعشق اللون الأصفر فتلبسه على وجهها، تداعبنى بأنامل خاصمتها النعومة وبسمة مرتبكة.

- هاه.. ملل.. عذاب.

- هل ناديت؟

- . . . .

شد الصمت لسانيهما وهى تناوله الفنجان، نظرت إليه.. راشفا القهوة متلذذا مراراتها، غاصت داخل عينيه:

- لم يشته يوما طعاما إلا كان بين أضراسه.. ملابسه متأهبة دائما للارتداء.. حذاؤه نظيف.. فراشه دافئ ناعم معطر، ويلهب مشاعرى ببرودته وصمته: ليتنى الجريدة التى تنام بين يديه. غاب عنى منذ السنة الأولى لزواجنا.. لم يعد من صمته ورحلة تأملاته لصورنا القديمة. يفرغ شحنات الكلام مع الأبناء وجارتى السمراء.. بعدها يختبئ خلف اللاشىء.. اللاحركة.

كم أحلم به ينادى بدلال.. (ليلى .. ليلى):

- . . . .

- نعم.. هل ناديت؟

بسمة جافة متحرجة:

- سأذهب بعد قليل للنادى.. هل تريدين طلبات؟

آهاتها تخفت.. تذبل تموت فوق الشفاه:

- العادى.. خبز.. جبن ولا تنس جريدتك المسائية، فقد أنهيت الصباحية. سأستحم وأنام.. هل ينقصك شىء؟ هاه.. ألا تسمعنى

- صمت -

- على راحتك.

لماذا لا أنفصل عنها.. أو أتزوج.. هذا حقى، تهجرها الأنوثة إلا يوما فى العام.. يوم زواجنا، تتشح بالأنوثة والرغبة. هى ليست من أحببت.. لو تمو....لا..لا..حرام.

صفق الباب.. غاب خلف درجات السلم.

قذفت الباب بنظرة متشققة:

- ترى ماذا لو غيبته الأيام.. أتقبلنى الحياة من جديد؟ أعود بلا مسئولية.. أحب من جديد.

اهتزت أركان البيت.. صراخ بالخارج.. هرولات، أقدام تقفز السلم، تستغيث.. زلزال.. العمارة ستقع. صرخت:

- خالد على السلم.

ركضت صوب الباب .

دفع الباب، جذبها نحوه.. التصقا تحت العامود، شاهدا صورة زفافهما تتهاوى، مرت الرعشة الأرضية نظر فى عينيها طويلا :

- كنت نازله بقميص النوم على السلم؟!

- مت رعبا عليك .. حاولت اللحاق بك.

أنامت رأسها على كتفه، استكانت يده على ظهرها:

– شعرت بالزلزال.. كنت على مدخل العمارة.. صعدت كى.. نظر لدمعتين هاربتين فوق وجنتيها وهى ترنو لصورة الزفاف المرتكنة فوق الزاوية.. رفعت رأسها إليه كانت أجمل ما رأت عيناه.

صدر للكاتبة

❖ أجنحة البوح (مجموعة مشتركة) سلسلة كتاب الجيل الجديد ٢٠٠٠ .

❖ للنساء حكايات (مجموعة قصصية) إشراقات جديدة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠١ .

❖ ربع رجل (مجموعة قصصية) الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠١ .

❖ كافرة (ديوان شعر) سلسلة كتاب الجيل الجديد العدد (١٢)/ ٢٠٠٤ .

تحت الطبع

- رجال غالية	(رواية)
- فى هجاء الزوجات	(دراسة)
- الحصان الأسود	(مسرحية)
- وجع دافئ	(نثريات)
- بنات الحاج	(رواية)

المحتويات

كتبت هذه القصص مابين عامى ٢٠٠١ - ٢٠٠٤

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٩٦ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9445 - X